

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أجل ؛ انها لصفحة شرف وفخار ، من تاريخ حافل مجيد .
تلك هي الصفحة التي كتبها اجدادنا الاكرمون بدمائهم الزكية ، على اديم
الارض الصقلية ، وسجلوها بجلال اعمالهم في سفر الوجود ، واقتحموا بها
وبامثالها ابواب الخلود .

ويا لها من ذكريات تثيرها في نفوسنا تلك الصحف المطهرة ، صحف جهاد
الاجداد في سبيل الفتح الاسلامي ، وفي سبيل العمران والرقى ونشر المعرفة والمدنية
الحقة .

انها لذكريات اجداد كرام برة ، تركوا لنا راساً في التاريخ عاليا ، وذكرا
في الخافقين مجيدا ، انهم لقوم قهروا في سبيل الله وسبيل المدنية اشاوس الارض
وطغام البحر ، وتغلبوا بقوة ايمانهم ومتانة سواعدهم وشدة شكيمنتهم على كل
معترض لهم في طريق حفر بالصعاب ورص بالعقبات ، كان رائدهم يومئذ نكران
الذات وتضحية النفس في سبيل المثل الاعلى ؛ على غرار سنة استنهاهم محمد بن
عبد الله ، رسول الله ، وخلفاؤه من بعده ؛ فزالهم هنالك الاذى واصابهم في
طريقهم النكبات فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ،
والله يحب الصابرين ؛ وما بين مشرق الشمس وبين مغربها ، وما بين جليل
الشمال وسعير الجنوب ، رفعوا فوق هام البر وفوق عباب البحر اعلامهم عالية
خفاقة ، مرعية الجوار عزيزة الجانب ، وضع النضال حول هامتها هالة من نور الحق
وعزة الانتصار .

و اننا قوم الشمال الافريقي ، انشاء الاطلس الابرار ، لأحق باحياء هذه الصفحة الصقلية و بنفض ما تراكم من فوقها خلال عصور الانحطاط ، من غبار . ذلك لأنها صفحة خاصة باجدادنا في هذا الشمال ، فهم الذين فتحوا هنالك ومدنوا و تغلبوا ، و هم الذين انخذلوا بعد ذلك تحت تأثير عوامل شتى ، و تحت ضربات اعداء الداخل والخارج ، فضاع عنهم ما فتحوه حسا ومعنى بعد طول جلال .

فعلينا — ونحن ابناؤهم — ان ندرس برورا بهم ، تاريخهم في حالتيه ، لنحيي ذكركم ، و ننصفهم حقهم ، ولنقيم لهم بأفلامنا وفي قلوبنا ، تمثالا خالدا هو عنوان الاجلال والاعتراف بالجميل ، ثم لنستخرج من كل ذلك عظات وعبرا تنير امامنا جادة السير في طريق الحياة الحققة حياة العمل والجد والسعادة وتحقيق الآمال .

انما هذه الصفحة الطيبة الثرية ، صفحة التاريخ الاسلامي بصقلية لم تكتب بعد ، ولم يقبض الله لها من يفردها بدراسة قيمة ، كما درست من قبل فتوحات المسلمين في سائر الاقطار ، فنحن لا نجد من اخبار صقلية الاسلامية الا ما تناسر في كتب التاريخ بين عربية وغربية وخاصة في كتب ابن خلدون وابن الاثير وابن الخطيب وابن جبير ، وبعض امهات الكتب الاخرى ، على ان تلك الاخبار المقتضبة التي كانت تذكر استطرادا ، لم تكن تهتم الا بكبريات الحوادث الحربية ، وتاريخ تولي الولاة ووفياتهم على اضطراب بينهم في الترتيب . و قل من المؤرخين من تعرض لآثار ذلك الفتح ، وما كان له من ضلم كبير في اشراق انوار المدنية والمعرفة على ربوع اوروبا ؛ وبعبارة اصرح ، مدى مشاركة المسلمين الصقليين في بناء هيكل المدنية الحاضرة ؛ فيكاد يخيل اليك وانت تتلو كتب التاريخ القديمة ان مقام المسلمين بصقلية ما كان الا سلسلة من حروب وقتن واضطرابات ، وانه لم يكن وراء تلك الحروب و الفتن سوى دماء تسفك ، ومعا لم تخرب ، وحرمان تنتهك ؛

وتلك لعمري هفوة من مؤرخينا، علينا ان نتداركها ، وعلينا ان نسد هذه الثلمة في هيكل تاريخنا القومي .

نعم ! يجمل بهذه المناسبة ، وفي هذا الميدان ان نذكر وان نعترف بمجمل عالين جليلين ، ومؤرخين مبجلين اولهما السنيور ميكايل عماري ^(١) وقد نشر سنة

^(١) هو صاحب السيف والقلم وبطل العلم والسياسة واحد كبار المجاهدين في سبيل الامة والوطن ، والدرة اللماعة في تاريخ الاستشراق العربي على الاطلاق ؛ ولد في مدينة بالرمة سنة ١٧٠٦ من عائلة ربما كانت تنحدر من اصل عربي حسبما يدل عليه اسمها ، وحسبما يدل عليه اتجاه هذا البطل العظيم من احياء تاريخ المسلمين بصقلية ، وجمع آثارهم والاشادة بما كان لهم من فضل على العلم والمدنية بحيث انه قد عمل وحده في هذا المضمار ما تنوء تحت وقره العصبة القوية من العاملين . ولقد شب في بيت ناثر ، اذ كان أبوه من رجال الحركة الوطنية الاستقلالية بصقلية ، وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين سنة ؛ فكان ميكايل متشبعا منذ نشأته بتلك الافكار لكنه اندفع في ميدان العلم فحذق العربية ، مدفوعا لذلك بعاطفة غريزية ولا ريب ، واخذ منذ شبابه يدرس تاريخ المسلمين ؛ وعندما حدثت الثورة في سبيل الحرية سنة ١٨٤٨ اندفع صاحبنا في مضمارها وخاض غمارها ، وصمي نائبا عن وطنه في مجلس الامة ؛ ثم استولى وزارة المالية حيث جاهد جهاد الابطال في سبيل الشعب والمستضعفين ؛ ثم ترك السياسة واعتكف على الدراسة والانتاج الخصب لكن ثورة غاريبا لذي عام ١٨٦٠ اخرجته من جديد لعالم السياسة والجهاد فشارك في الثورة مشاركة محسوسة ، واصبح بعد نجاحها مدير المعارف بمدينة بالرمة ثم وزير المعارف للدولة الطليانية الموحدة سنة ١٨٦٢ .

ثم اعتزل السياسة من جديد ، واخذ يدرس العربية في جامعة فلورنسا ؛

١٨٥٨ كتابه الحافل ﴿ المكتبة العربية الصقلية ﴾ وقد جمع فيه اغلب ما نذكره في كتب العرب من اخبار صقلية والصقليين ، ايام دولة المسلمين ؛ والف كتابا حافلا باللغة الطليانية ﴿ تاريخ العرب بصقلية ﴾ في خمسة اجزاء ضخمة .

وثانيهما صديق الكبير و استاذي الجليل ، امير الامراء حسن حسني عبيد الوهاب ، مدرس التاريخ بالخلدونية سابقا ، ووزير الدولة التونسية اليوم ؛ حيث قدم لمؤتمر المستشرقين الرابع عشر المنعقد بمدينة الجزائر سنة ١٩٠٥ رسالة قيمة باللغة الفرنسية (١) عن مسلمي صقلية وما كان لهم من اثر محمود في ميادين العلم والمدنية .

وتراس بتلك المدينة مؤتمر المستشرقين سنة ١٨٧٦ ، واستمر عاملا جادا في سبيل العربية والتاريخ الاسلامي الصحيح الى أن توفي بفلورانس سنة ١٨٨٩ ، ومن اهم ماثره ﴿ تاريخ المسلمين في صقلية ﴾ في خمسة اجزاء ضخمة ، نشره سنة ١٨٥٤ ، واعيد طبعه من تعليقات مفيدة و كتاب ﴿ المكتبة العربية الصقلية ﴾ جمع فيه اهم ما كتبه المؤلفون المسلمون عن صقلية ، و كتاب ﴿ الآثار العربية المنقوشة على الحجارة بصقلية ﴾ و كتاب ﴿ مذكرة عن حوادث التاريخ في القرآن الكريم ﴾ وترجم للطليانية كتاب سلوان المطاع لابن ظفر ؛ ورحلة ابن جبير بصقلية .

و قد اقام المستشرقون حفلا رائعا بمناسبة مرور مائة عام على ولادته ؛ وبذلك المناسبة نشر استاذنا حسن حسني القسم المتعلق بصقلية وافريقيا من ﴿ اعمال الاعلام ﴾

واني لأعتقد انه لا يتسنى للعرب الاطلاع على حقائق ودقائق تاريخ مسلمي صقلية ما لم يقبض الله من بينهم من يترجم لغة الضاد كتاب عمادي الحافل الثري « تاريخ المسلمين في صقلية » فهل من محيب ؟

ثم نشر حفظه الله بمدينة بالرمة سنة ١٩١٠ القسم المتعلق بالشمال الافريقي
و جزيرة صقلية من كتاب اعمال الاعلام ، لابن الخطيب ، مع هوامش مفيدة
باللغة الفرنسية متداركا بذلك ما سها العلامة ميكائيل عمارى الآنف الذكر عن
حشره ضمن (المكتبة العربية الصقلية)

ولقد كان اهتمامي بموضوع التاريخ الاسلامي بصقلية قديما ، وكانت ولا
تزال رغبتى فى اختراق مجاهله اكيدة ؛ فنشرت فى الجزء الرابع من كتابى قوم
المنصور سنة ١٩٢٦ بحثا وجيزا عن تلك الحقبة من التاريخ ، ولربما كنت قد
وقفت يومئذ بعض التوفيق ، فى تعييد ذلك الطريق .

وانتى لا اعود اليوم الى هذا الموضوع ، مقدما بين يدي الامجاد ، قوم الشمال
الافريقي ما اوصلني اليه جهد البحث والاستقراء عن تاريخ صقلية الاسلامية
متوسعا فى ذلك ، حسبما امكنني ان اتحصل عليه من مختلف الوثائق والمعلومات
وبين طيات ما وصلت اليه من كتب عربية وافرنجية ؛ مشبعا على هامش ذلك ،
حسب طريقتي ؛ اهم الاحداث الكبرى ، بالشرق والغرب ، حتى يمكن لقارئى
كتابي ان يخرج بالتاريخ المحلي عن عزله ، ويربط الحوادث الصقلية فى مختلف
ادوارها بمجرى التاريخ العالمى .

لكننى — والحمد لله — بعيد عن الغرور وكاذب الادعاء ؛ فاقول بكل
صراحة ، ان كتابي هذا لا يجب ان يعتبر الا تمهيدا لدراسة تاريخ المسلمين فى
صقلية ؛ فان كنت قد علمت شيئا وسجلته ، فقد غابت عني ولا ريب اشياء ؛ وان
كنت قد ادليت خلال هذه الدراسة التاريخية ببعض آراء وافكار ، فما انا بمقدمها
الا لى تعرض على مجال البحث والمناظرة ، حتى يظهر من الحقائق التاريخية ما
اخفته دفات الكتب ، او طمست معالمه حوادث الايام .

بل انني ازيد غلواً في الصراحة ، فاقول للعلماء و الكتاب و المؤرخين من بني قومي ، انني ما اقدمت على وضع كتابي هذا ، ونشره ، وعرضه على النقادين ، الا لكي استفز منهم المشاعر ، واستحث فيهم الهمم ، علمهم يندفعون بهمة وعزيمة و بما آتاهم الله من علم ، في هذا الباب ، فيتداركون النقص وياتون بفصل الخطاب تلك هي غابتي ، وهاتيك هي مناي .

وانني لأبتهل الى الله ، ان يلهمنا الحق والصدق والصواب ، ويهدينا سواء السبيل ، حتى نخدم تاريخنا الخدمة المثلى ؛ فنخلد بذلك ذكرى اجدادنا ، و نقدم الامانة سليمة لأحفادنا .

وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت ، واليه ائيب .

الجزائر — ١٢ ربيع الانور ١٣٦٥

